اللُّفَاظُ التَّضادّ فِي أَقْوَالِ أَئِمَّة أهل الْبَيْت عَلَيْهِم السَّلَام فِي كِتَابِ الْكَافِي دِرَاسَةٌ في ضَوءِ نَظَرِيَّةٌ الحُقُولٌ الدلالية

مثنى جميل هويدي أ.د. جنان منصور كاظم

جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الانسانية

المُلخص

يرتبط التضاد بالنزعة العقلية ، وتتبين جماليته عن الجمع بين ضدين في بنية واحدة، فتتعمق البنية الفكرية في النص، ويتولد الجمال والدهشة الناجمة عن اجتماع الضدين في موقف واحد ، أو في حديث واحد، وينشد هذا البحث حين يبين مستويات التضاد في الاحاديث الشريفة للائمة أهل البيت الواردة في كتاب أصول الكافي ، حيث جاءت هذه الألفاظ للتعبير عن الشيء باسم ضده ، زيادة في تقوية التعبير، وإثارة اهتمام السامع، فكلامهم عليهم السلام يوضح بعضه بعضاً، ويرتبط أوله باخره ، ولا يُعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين ؛ لإنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الأخر، فلا يراد بها في حال التكلم والأخبار إلا معنى واحد، لذلك تُعدّ المتضادّات الواردة في أحاديثهم كثيرة، والموظفة في النصّ بأجمل وأحبك أُسلوب، ركناً أساسياً لا يمكن إغفاله والتجاوز عن دراسته.

Summary

Contradiction is related to the mental tendency, and its aesthetic becomes clear from combining two opposites in one structure, so the intellectual structure deepens in the text, and beauty and surprise are generated due to the meeting of the two opposites in one situation, or in one hadith, and this research is sought when it shows the levels of contradiction in the honorable hadiths of the imams of Ahl al-Bayt. It is mentioned in the book “Osoul al-Kafi”, where these words came to express a thing with a name against it, an increase in strengthening the expression, and arousing the interest of the listener. The word has two opposite meanings. Because it precedes it and comes after it what indicates the specificity of one of the two meanings without the other, so it

is not intended in the case of speaking and news except one meaning, so the contradictions mentioned in their conversations are many, and the staff in the text is

the most beautiful and complex style, an essential pillar that cannot be overlooked and overlooked.

المقدّمة

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير من يعلم، وعلى إله ومن سار على نهجهم الاقوم، وبعد...

نشأ في كلام أهل البيت عليهم السلام رؤية ضدّية بين الديني والدنيوي، وفناء الجسد وأزلية الروح، وقامت هذه الرؤية على ضدّية الحق والباطل، وتجلّى في مضامينها صراع القيم النبيلة والرذائل المذمومة. وهذه الضدّية المتناقضة المؤتلفة بإبداع حقيقي داخل النصّ الديني، جعلت هذا النصّ ساحة مفتوحة للثنائيات المتضادّة التي عمّقت الخطاب، وكونته بطريقة منسجمة مع غرض النصّ وتطلعاته، وأُصوله واهتماماته. لذلك تُعدّ المتضادّات الواردة في أحاديثهم كثيرة، والموظفة في النصّ بأجمل وأحبك أُسلوب، ركناً أساسياً لا يمكن إغفاله والتجاوز عن دراسته، فقد منحت النصّ وحدة موضوعية وحيوية، تجلّت بلغة طيّعة ومفردات تلامس الوجدان قبل أن تطرق الآذان. والألفاظ المتضادة لا تحيا ولا تنتج دلالتها الثرية إلا داخل السياق الذي تتأزر فيه الألفاظ والتراكيب لتشكيل الصورة الواضحة وترسم ملامح المعنى ، وعلى هذا كان استخراج الألفاظ المتضادة من احاديث العترة الطاهرة خطوة هامة في عمل البحث ، للكشف عن دلالاته الخاصة التي يولدها السياق ، وما نطمح الى تحقيقه في هذا البحث هو معنى المعنى ؛ للكشف عما يعتمل في نفوس وأحاسيس القائل للحديث ، ونظرته الى الواقع من خلال دلالات التضاد الكامنة في ثنايا حديثه ،ومن ابرز ملامح اللفاظ التضاد التي وردت في الاحاديث الشريفة كان على مستوى العقيدة بين التوحيد والشرك، وعلى مستوى الموقف بين التصديق والتكذيب ، والإيمان والكفر ، وعلى مستوى الحياة بين الحياة في الدنيا متصلة بحياة الأخرة ، وبين حياة يترصدّها الموت كحتمية ومصير نهائي ، وعمل الإنسان على مستوى الخير والشر . نسأل الله تعالى أن يوفقنا لتبيان صورة من صور الجمال في أحاديث سادة الكلام، وفطاحل البلاغة واللغة، وأعمدة الفصاحة، وسادة العرب والحمد لله رب العالمين.

مفهوم التضاد في اللغة: الضد: "هو كلّ شيءٍ ضادَّ شيئاً ليغلبَه، والسَّواد ضدُّ البياض والموتُ ضِدُّ الحياة، تقول: هذا ضده وضديده، والليل ضد النهار، إذا جاءَ هذا ذَهَبَ ذاكَ، ويجمع على الأضداد"(١). قال تعالى : (وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا)(٢). والتضاد هو: أن يطلق اللفظ الواحد على المعنى وضدِّه. وهو فرع من المشترك اللفظي، أي: اللفظ الذي له أكثر من معنى، غير أنَّ اللفظ من الأضداد له معنيان أحدهما نقيض الآخر، والفرق بينهما أنَّ اختلافهما، هو: إختلاف تضاد لا إختلاف تنوع وتغاير، كما هي الحال في المشترك اللفظي.. فكل تضاد مشترك لفظي وليس العكس(٣).

والضد في الاصطلاح: ينطبق عليه التعريف الاصطلاحي للمشترك اللفظي غير أنه يختص باللفظ الدال على معنيين متضادين، مثل الجون على الأبيض والأسود. ويقول أبو الطيب اللغوي في تعريف الأضداد:" جمع ضد، وضد كل شيء ما نافاه، نحو: البياض والسواد، والسخاء والبخل، والشجاعة والجبن، وليس كل ما

خالف الشيء ضدا له، ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان، وليس ضدين، وإنما ضد القوة الضعف، وضد الجهل العلم، فالاختلاف أعم من التضاد؛ إذا كان كل متضادين مختلفين؛ وليس كل مختلفين ضدين"[٤].ويقصد بالأضداد في اصطلاح علماء العربية القدماء: " الكلمة التي تؤدى دلالتين متضادتين إلى لفظ واحد "[٥].

أهتم علماء اللغة القدماء بالتضاد كاهتمامهم بالمشترك والمترادف، فجمعوا الكلمات المتضادة في كلام العرب، أو القرآن الكريم، أو الحديث النبوي، وأفردوا لها كُتباً ومصنفات نشراً وتحقيقاً. ومثلما اختلف العلماء في وقوع المشترك اللفظي والترادف، أختلفوا أيضاً حول وقوع التضاد وأسبابه وأنواعه، فرأى بعضهم أنَّ التضاد: ما هو إلا نوعا من الاشتراك اللفظي، وأنكره أخرون كابن سيده الذي يقول: " كان أحد شيوخنا ينكر التضاد وكان ثلب ليس

في كلام العرب ضد؛ لأن لها لو كان فيه ضد لكان الكلام محالا " [٦]، ويرى أكثر علماء اللغة أن التضاد واقعٌ في كلام العرب. ومنهم: الخليل وسيبويه وقطرب وأبو عبيده والسيوطي، وأفرد له الثعالبي فصلاً في كتابه: (فقه اللغة وسر العربية)، ونحن نميل ونرجح هذا الرأي. وقد قسم علماء اللغة المحدثين أنواع التضاد بما يلي:

١- **التضاد الحاد** (Binary) هو: الذي يفصل بين لفظين بشكل حاسم بلا تصور تدريجي. نحو:

الميت ><الحي، الرجل >< المرآة، المتزوج >< الأعزب.

٢ -**التضاد المتدرج** (Gradable) هو: الذي يمكن أن يتحقق بين نهايتي معيار قابل للتدرج، أو بين أزواج من المتضادات داخل هذا المعيار نحو: كبير- متوسطة- صغير، جفاف- أمطار- خريف- ربيع، - معتدل- ، فإنها تقوم من جانب أخر على المرونة التي تفسح المجال لوجود التناقضات الثانوية المتسلسلة التي تتوسط بين طرفيها الأساسيين.

٣ -**التضاد العكس** (converse) هو: وجود تماثل مع النوعين السابقين، من حيث وجود التناقض ما بين كل طرفين متضادين. نحو: الزوج ><الزوجة، الطبيب >< المريض، الأب ><، الابن. باع ><أشترى.

٤ -**التضاد الاتجاهي** (Reverse) هو: الذي يقوم على الحركة ما بين اتجاهين متضادين بالنسبة إلى مكان ما، وقد تكون هذه الحركة مرتبطة بالاتجاه الرأس كما في أعلى- وأسفل، أو الأفقي كما في: يصل- ويغادر- ويأتي- ويذهب، وبذلك يُلحظ كيف أن هذا النوع الأخير من المتضادات يختلف عن الأنواع الأخرى التي سبق ذكرناها، باقتصارهِ على مجال واحد وهو المجال المكاني.

أسباب نشوء التضاد:

ثمة أسبابا كثيرة ذكرها الباحثون أدت الى وجود ظاهرة التضاد في اللغة العربية منها: -

١- **اختـــلاف القبائل العربيـــة في استعمال الألفاظ:** فقد يكون المعنى الأصلي للفظة عاماً في لغةِ قبيلة من القبائل. ويخصص معناه في اتجاه مضاد في لغة قبيلة أخرى[٧]. مثل (وثب) المستعملة عند حمير بمعنى (قعد)، وعنـــد مضـــر بمعنى (قفـــز)، ولفظـــــة (السدفة) فهي تستعمل عند بني تميم بمعنى (الظلمة) وعند (قيس) بمعنى (الضوء).

٢- **الافتراض من لغة أجنبية:** نحو: " جلل"، وهي بمعنى دحرج. وإذا كان الشيء المدحرج ثقيلا أحيانا وخفيفا أحيانا، فقد اعتمدت العربية على هذه الإيحاءين المتضادين للكلمة الواحدة، وأعطتها معنيين هما عظيم وحقير.

٣- **دلالة اللفظ في الأصل وضعه على معنى مشترك بين الضدين:** ثم يتخصص هذا المعنى في لهجة من اللهجات بأحد المعنيين، ويتخصص بالمعنى المضاد في لهجة أخرى، فكلمة (الصريم) تقال لليل وتقال للنهار؛ لأن الليل ينصرم من النهار، والنهار ينصرم من الليل، وأصل المعنيين من باب واحد، وهو القطع. وكذلك كلمة (المأتم) عند أصحاب كتب الأضداد، فهي تدل على: النساء المجتمعات في فرح وسرور، وعلى: النساء المجتمعات في غَمٍ وحُزنٍ. والأصل في ذلك عموم المعنى فالمأتم إجتماع النساء في الخير والشر.

٤- **إنتقال اللفظ من معناه الأصلي الى معنى آخر مجازي:** فقد يكون اللفظ موضوعاً عند قوم لمعنى حقيقي، ثم ينتقل الى معنى مجازي عند هؤلاء أو عند غيرهم فيكون للتفاؤل، كإطلاق لفظ:(الحافل) على الممتلئ وعلى الخالي، و(السليم) على: الملدوغ، والمفازة على: المهلكة، أو يكون لإجتناب التلفظ بما يكره، مثل إطلاق لفظ: المولى على: العبد مثلما يطلق على السيد، وإطلاق لفظ: (البصير) على الأعمى.

٥- **الخوف من الحسد:** شاع الاعتقاد عند بعض القبائل بالسحر والإصابة بالعين فتركوا وصف الأشياء بالحسن والجمال خوفا من الحسد فيقولون (شوهاء): للفرس الجميلة كما يطلقون ذلك على الفرس القبيحة، وذلك دفعا للحسد عن الفرس الجميلة.

٦- **المجاز والإستعارة:** قد يجيء التضاد من إنتقال اللفظ عن معناه الى: معنى آخر مجازي، لنكته بالغية، أو لعالقة ما كقوله: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[٨] فالفعل الثاني غير مستعمل في معناه الأصلي؛ لأن الله لا يجوز عليه السهو، بل مستعمل في معنى بل مستعمل في معنى الإهمال والترك المقصود على سبيل الاستعارة، وقد حسنت الاستعارة في تحقيق المجانسة بين الجزاء والعمل[٩]. أي النسيان مجاز عن ترك الطاعة فالمراد لم يطيعوه فنسيهم من لطفه وفضله[١٠]

٧-**احتمال الصيغة الصرفية للمعنيين معاً:** ثَمة صيغ في العربية تُستعمل للفاعل والمفعول، ومن هنا نشأ التضاد في كثير من معاني هذه الصيغ مثل: الغريم: بمعنى الدائن والمدين، والقنيص بمعنى: القانص والمقنوص، وصيغة

فعول تستعمل في العربية بمعنى فاعل مثل: الفجوع للفاجع والمفجوع. وأيضا الزجور يقال للزاجر وللناقة التي لا تدر حتى تزجر وتضرب[١١].

: أنواع الكلمات المتضادة التي توجد في الأحاديث الشريفة للنبي الأكرم وعترته الأطهار صلوات الله عليهم في كتاب الكافي من حيث أسباب نشوئها:

قد تكون الألفاظ المتضادة متعاطفة مثال ذلك ما جاءَ عن عمرانِ بن إسماعيل بن عمران القمي قال: كتبت إلى أبي الحسن الثالث (عليه السلام): أن لي ولداً رجالاً ونساء أفيجوز لي أن أُعطيهم من الزكاة شيئاً؟ فكتب(عليه السلام): "إن ذلك جائز لكم"(١٢).

١-رجالاً > < نساء:

نوع التضاد: دخلا اللفظين المذكورين في التضاد الحاد لأنه؛ ليست هناك درجات للمعنى بين اللفظين.

أسباب التضاد: دخلا اللفظين في أسباب داخلية لها تضمنت من تداعى المعنى المتضادة والتصاحب الذهني؛ لأن الضدية نوع من العلاقة بين المعاني، بل ربما كان أقرب إلى أيّة علاقة أخرى.

فأي ذكر لمعنى من المعاني يدعو ضد هذا المعنى إلى الذهن. فالعلاقة بين الأضداد من أوضح الأشياء في تداعى المعاني. وإستحضار أحد المعنيين المتضادين في الذهن يستتبع عادة إستحضار الأخرى. نُلاحظ أنّ الواو لم يقتصر دورها فقط على جعل العناصر المتضادّة المتعاطفة متسقة بل قامت أيضاً باختزال بعض المعلومات بشكل خَلق نوع من الثغرات في الفهم والتأويل، والذي يؤدي إلى إبراز دور العلاقة التعارضية بين المتضادّين التي برّرت الجمع بينهما على الرغم من تنافرهما وتناقضهما. هذا التضاد بين لفضي رجالاً ونساء هو: تضاد في المعاني التي بدورها تَخلق تنوعاً فكرياً مع زيادة في التبصر المعرفي، إذ إنّ المسحة الجمالية التي يَخلقها التضاد تَولّد تواصل فكرياً بين النصّ وبين المُتلقي الذي يبحث عن الدلالة العميقة في الخطاب.

٢- غنيا > < فقيرا.

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (ما كان من ولد آدم مؤمن إلا فقيرا، ولا كافر إلا غنياً، حتى جاء إبراهيم عليه السلام فقال: " ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا فصيّر الله في هؤلاء أموالاً وحاجة وفي هؤلاءِ أموالاً وحاجة)(١٣).

نوع التضاد: دخول اللفظين في التضاد الحاد؛ بسبب عدم وجود هناك درجات للمعنى بين اللفظين.

أسباب التضاد: دخول اللفظين في أسباب داخلية لها تتضمن من تداعى المعنى المتضادة والتصاحب الذهني؛ لأن الضدية نوع من العلاقة بين المعاني، وتكون أحياناً أقرب إلى الذهن من أية علاقات أخرى، فبمجرد ذكر معنى من المعاني يدعو الذهن لإستحضار معنى ضده. فعلاقة الضدية. والمؤشر الدلالي في هذا الحديث يتمثل في التجاذب وقت الهناء، وسعة العيش، والتناثر عند الشدة والضيق، عند المؤمنين قبل مجيء إبراهيم فلا تجد ســوا القليل من يتحمل هذا البلاء، وهذا التقابل بين الغنى الذي هو: يمثل الرفاه، والفقر الذي هو: البؤس والكبد: أسهم في زيادة فاعلية الكلمات في ظاهرة التضاد في حديث الإمام وأثرها في إيصال المعنى سياق حديث الإمام الصادق؛ وذلك لإنَّ استجابة المتلقي قد تكون أكثر ميال للمعاني المتضادة؛ ولسبب بسيط هو: أن الوهج الإشراقي لكلّ معنى من هذه المعاني المتضادة يمارس عملية شدٍّ وجذب على نفسية المتلقي؛ فضلاً عن جمالية الأسلوب المتوشّح بالإيقاع من خلال التضاد في بعض الكلمات .

٣-أخذَ > < أُعطي:

عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) إن الله خلق العقل فقال له: (اقبل فاقبل وقال له: أدبر فأدبر، فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت شيئا أحسن منك أو أحب إلى منك، بك آخذ وبك اعطي)[١٤].

نوع التضاد: دخول اللفظين في التضاد العكسي: لوجود تماثل مع النوعين. أخذت: أخذ: أخذت الشيء آخذه أخذا: تناولته[١٥]. تركت: ترك: تركت الشيء تركا: خليته[١٦].ودلالة لفظة (بك آخذ)، أي: بسببك أُعاقب بالبعد عن مقام العمل الصالح وبالحبس في سجون المنكر والبعد عن ساحة الرحمة الإلهية، أو بسببك أقبل الأعمال الموجبة

للقرب. (وبك أعطي) أي: اعطي الأجر الجميل والثواب الجزيل. والمقام المحمود الذي فيه أنواع الفضائل والكرامات من الإحسان والأنعام. ونلحظ ايضاً حذف مفعول الفعلين، دلالة على التعميم ولا يبعد تنزيلهما منزلة اللازم وجعلهما كنايتين عنهما لتعلقهما بمفعول معلوم بقرينة المقام. ساهم هذا التضاد في إيصال المعنى المراد إيصاله مع إضافة جمالية للحديث في لفضي (الأخذ والإعطاء) بسبب العقل فإن زاد زادا وإن نقص نقصا. وهنا تعزّز الإيقاع المقرون بالحدث نتيجة التضاد بين فعلين، وعليه نستطيع القول إن توليد المعاني وفهمها لا يتمّ بالأساليب العادية بل يحتاج إلى تنوّع لفظي في الخطاب.

٤-باعَ > < أشترى.

قال رسول الله صلى الله عليه واله: (من باع واشترى فليحفظ خمس خصال وإلا فلا يشترين ولا يبيعن: الربا، والحلف، وكتمان العيب، والحمد إذا باع، والذم إذا اشترى)[١٧].

نوع التضاد: دخول اللفظين في التضاد العكسي؛ لوجود تماثل مع النوعين.

باع: بيع: بعت الشيء: شريته، أبيعه بيعا ومبيعا، وهو شاذ، وقياسه: مباعا. وبعته أيضا: اشتريته، وهو من الأضداد[١٨]. إشترى: شري: الشراء: يمد ويقصر، يقال منه: شريت الشيء أشريه شراء، إذا بعته وإذا اشتريته أيضا، وهو من الأضداد[١٩]. دلالة الكلمتين المتضادتين هنا (باع / اشترى) هي من فقه التجارة، فكلمة إشترى

تدل: على أن المشتري عليه ضوابط وأصول كالبائع، ساهم هذا التضاد في إيصال المعنى المراد إيصاله مع إضافة جمالية للحديث في لفضي (البيع والشراء) بسبب مجيء لفظي البيع والشراء معاً، وجمع الشرائط المحرمة على الكلمتين المتضادتين.

٥- جَلسَ > < قامَ: عن أبي عبد الله (عليه السلام): (أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه جلس إلى حائط مائل يقضي بين الناس، فقال بعضهم: لا تقعد تحت هذا الحائط، فإنه معور، فقال: حرس أمرؤا أجله، فلما قام سقط الحائط: قال: وكان أمير المؤمنين عليه السلام مما يفعل هذا وأشباهه، وهذا اليقين)[٢٠].

نوع التضاد: دخول اللفظين في التضاد العكسي؛ لوجود تماثل مع النوعين.

المَجْلِسُ: موضع الجُلوسِ. ورجلٌ جلسة، أي كثير الجلوس. والجلسة بالكسر: الحال التي يكون عليها الجالسُ. والجلس: الغليظ من الأرض. قالت الخنساء: حتى إذا ما الخدر أبرزني * نبذ الرجال بزولة جلس.[٢١]

قام: قام الرجل قياما، وقامت الدابة: وقفت من الكلال[٢٢]. دلالة الكلمتين المتضادتين الجلوس والقيام في حديث الإمام (عليه السلام) على: تأكيد اليقين عند الإمام ومسألة القضاء والقدر، حيث جمع الإمام (عليه السلام) بين كلمتين متضادتين؛ لتعزيز التأكيد في المعنى المتبادر الى ذهن المتلقي.

٦- ذَكر > < أُنثى:

عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عزوجل: {أَعْطَى كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}، قال:(ليس شيء من خلق الله إلا وهو يعرف من شكله الذكر من الأنثى)[٢٣].

نوع التضاد: بالنسبة إلى أنواع التضاد أن اللفظين المذكورين دخلا في التضاد الحاد؛ لأنه ليست هناك درجات المعنى بين اللفظين. الذَكَرُ: خلاف الأُنْثى. والجمع ذكور، والذَكَرُ من الحديد: خلاف الأنيث وذكورا البقل: ما غلظ منه، وإلى المرارة هو. وسيف ذَكَرٌ ومُذَكَّرٌ، أي ذو ماءٍ[٢٤]. والأُنْثَى: خِلافُ الذَّكَرِ من كُلِّ شيءٍ والأنثيان فإذا قلت للشّيء تُؤَنِّثُهُ، فالنَّعْتُ بالهاء، مثل: المرأة، فإذا قلت: يُؤَنَّث فالنَّعْت مثل الرّجل، بغير هاء، كقولك: مُؤنَّثة ومؤنث[٢٥].: الأُذُنانِ. أما أسباب نشأة التضاد، فاللفظين المذكورين: دخلا في أسباب داخلية تتضمن تداعى المعنى المتضادة والتصاحب الذهني؛ لأن الضدية نوع من العلاقة بين المعاني، وربما تكون أقرب إلى الذهن من أي: معنى من المعاني. فعلاقة الضدية من أوضح الأشياء في تداعى المعاني. وإستحضار أحد المعنيين المتضادين في الذهن، ويستتبع عادة استحضار الأخرى.

وفي حديث أخر عن حمزة بن حمران، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول:(إن مما حفظ من خطب النبي صلى الله عليه واله أنه قال: (يا أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم ألا إن المؤمن يعمل بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض

فيه، فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته وفي الشيبة قبل الكبر وفي الحياة قبل الممات، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من مستعتب، وما بعدها من دار إلا الجنة والنار.

إنّ النص النبوي بوصفه نصّاً دينياً زاخر بالألوان البلاغية، وأحد هذه الأصناف البلاغية التي تحمل سمة المحسّن البديعي هو التضادّ، أو الطباق، أو التقابل، بمختلف المفاهيم التي ترتبط بمعنى إجتماع اللفظ مع ضدّه في سياقٍ نصيّ واحد .يُلحظ من النص السابق أنّه صلوات الله عليه قد ضادّ بين مضامين لا تكون إلّا ضدّاً مع مضامين أُخرى للتفريق والتمييز بين هذه المضامين التي تسير بخطين متوازيين لا يلتقيان، مثل: (مضى، بقي)، (دنيا، أخرة)، (الموت، الحياة)، إنّ كلّ هذه المتضادّات وُظِّفت بطريقة تتجاوز مجرّد الانسجام داخل النصّ؛ لتتعانق مع الخارج العام وما فيه من تناقضات واقعية. ولو دققنا النظر في التضادّ الذي ورد في هذا الحديث، نجد أنّه تحقق فيه ما يجعله يحمل سمة الاتساق ويُلبس المقطع الذي ورد فيه صفة النصّ، فالألفاظ المتضادّة الواردة تواردت بشكلٍ نمطي بحيث يرتبط أحدها بالآخر، ويتعلق بالعنصر السابق له واللاحق، باتساق واضح يسبك النصّ سبكاً معجمياً بيناً، كما أن وجود الفاصل بين الأطراف الثنائية المتضادّة أو عدمه

يجعلهما يتخذان في سياق النصّ شكلين: متضادّات متجاورة: وهو تتابع الألفاظ المتضادّة بفاصل حرفي فقط، كاللام،(دنياه لآخرته) أو حرف الواو كـــ(الجنة والنار) أو يكون المتضادان هما فعلين ماضيين كـــ(مضى، وبقى) أو بينهما ضرف كـ (الحياة قبل الممات) وفيما يلي ما جاء من اللفاظ تضادية في الحديث النبوي الشريف:

٧- الدنيا > < الأخرة:

نوع التضاد: أن اللفظين المذكورين دخلا في التضاد الحاد لأنه؛ ليست هناك درجات المعنى بين اللفظين.

دنا: دَنا الشيءُ مِنَ الشيءِ دُنُوّاً ودَناوَةً: قَرُبَ. ادْنُهْ؛ هُوَ أَمْرٌ بالدُّنُوِّ والقُرْبِ، وَالْهَاءُ فِيهِ لِلسَّكْتِ، وجيءَ بِهَا لِبَيَانِ الْحَرَكَةِ. وسُمِّيت الدُّنْيا لدُنُوِّها، ولأَنها دَنتْ وتأَخَّرَت الْآخِرَةُ، الدُّنْيا: نَقِيضُ الْآخِرَةِ، انْقَلَبت الْوَاوُ فِيهَا يَاءً لأَن؛ فُعْلى إِذا كَانَتِ اسْمًا مِنْ ذَوَاتِ الْوَاوِ أُبدلت واوُها يَاءً، كَمَا أُبدلت الْوَاوُ مَكَانَ الْيَاءِ فِي فَعْلى، فأَدخَلوها عَلَيْهَا فِي فُعْلى ليَتكافآ فِي التَّغْيِيرِ، والأَصل أَن لَا تُصْرَفَ؛ لأَنها فُعْلى، وَالْجَمْعُ دُنا مِثْلُ الكُبْرى.

الآخرة أنثى الآخِرُ: بعدَ الأول، وهو صفةٌ. تقول: جاء آخِراً، أي أخيرا، وتقديره فاعل، والجمع أواخر. والآخر بالفتح: أحد الشيئين، وهو اسم على أفعل، والأنثى أخرى[٢٦]،تضمّن الحديث النبوي، بأن يأخذ الأنسان في الدنيا من نفسه فعل الطاعات والقربات وترك المنهيات ورفض الدنيا وأهلها ورسوم العادات، لنفسه في الأخرة، إذ ورد

التضاد الإسمي بين: (دنياه وآخرته) وبذلك تمكن التضاد الإسمي من تعزيز الأثر الدلالي من خلال السبك الأسلوبي، والاستقرار المعنوي للأسماء المتضادة، إذ تمكن من خلق بنية خطابية لها أصولها الجمالية المملوءة بالمنافع والمتع مع التحذير من الدنيا وأن ينفع متاعها على الفقراء والمحتاجين وذوي الحاجات من المسلمين، ولا ينسى نصيبه من الدنيا التي هي مزرعة الآخرة. فالتضادّ المتحقق في فقرات قصيرة لا تتجاوز الكلمتين، وبشكلٍ متجاور قد أسهم في إدراك ما يُحيط بالنصّ من علاقات سياقية، تُعين على فهم الواقع من خلال ضخّ الصور المتنافرة والمتضادّة.

٨-مضى > < بقي:

نوع التضاد: دخول اللفظين في التضاد العكسي؛ لوجود تماثل مع النوعين.

مَضى: مضى الشيء مضيا: ذهب[٢٧]. بقي: الشيء يبقى بقاء. وكذلك بَقِيَ الرجل زماناً طويلاً، أي عاش[٢٨].

أن التباين الدلالي في الأفعال المتضادة يمتاز بالمعنى العميق أي: لا يركن إلى الاستقرار؛ لإن زمن الفعل هو الذي يحدّد بويصلته الدلالية، وكانَ أسلوب التضاد في الأفعال (مضى-بقي) تمكن من القيام بدور فعال من خلال تحذير الناس بالمعالم التي هي مواضع العلوم والحقائق وهي القوانين الشرعية، أسهمت بتوفير كنزٍ دلالي في وظيفة الكلمات داخل الجمل التي هولت الإنذار، فضلاً عن التناسق الأسلوبي في الحديث الشريف الذي أوجده الأفعال الماضية (مضى-وبقى) .فكانت هذه الأفعال المتضادة ، وسّعت الحيّز الدلالي وجعلته أقرب إلى ذهن المتلقي ؛لترسيخ العقيدة السليمة عنده ، وتحقيق الغاية المطلوبة للإنسان وهي الكمالات

الموجبة للقرب وحملها على الأجل الموعود، كما دل على أن الخوف كما يكون بالنسبة إلى ما يأتي يكون بالنسبة إلى ما مضى أيضاً وتخصيصه بما يأتي ،وإطلاق الحزن على ما مضى وهذان الخوفان يوجبان تحقق كمال الإنسان؛ لأن الخوف ما مضى يوجب تصميم العزم بالتوبة والإستغفار والتدارك والاعتراف بالتقصير وإشتغال القلب بذكر الرب والخوف مما يأتي من إحتمال المعصية والإغترار، وترك الطاعات يوجب الاجتهاد في اكتساب الخيرات والمبادرة إلى تحصيل الكمالات ، وهي حاجة أساسية في الحديث الشريف .

٩- **الْحَيَاة > < الْمَمَات.** حَيَّ: الْحَيَاة: ضد الموت، والحيُّ، ضِدُّ الْمَيِّتِ، المُحَيِّيَ: مفعل من الحياة. تقول محياتي ومماتي، والجمع المحايي[٢٩].مَمات مفرد: مَوْت[٣٠] "{إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ} "[٣١].والمَيِّتٌ في

الأصل مَوْيِتٌ مثلُ سَيِّد وسَوْيِد، فأُدْغِمَتِ الواو في الياء وثَقُلَت الياءُ، وقيل: مَيْوِت وسَيْوِد، ويخفَّفُ فيقال: مَيْت. والمَيْتةُ في البَرِّ والبَحْر: ما لا تُدْرَكُ ذَكاتُه. والمِيتَةُ: الموت بعينه، ويقال: ماتَ مِيتَةَ سوء. والموتة: الجنون[٣٢].

نوع التضاد: أن اللفظين المذكورين دخلا في التضاد الحاد لأنه؛ ليست هناك درجات المعنى بين اللفظين.

يُلحظ أنَّ التضاد الوارد في الحديث يخص مرحلة في حياة الإنسان، وهي: (الْحَيَاة–الْمَمَات) مع وضوح الدلالة التي تبيّن أن التقابل المضاد بين الحياة والموت بإظهار المعنى إذ استثمر كلّ طاقات النصّ المكتنزة، وإسهامه في تنشيط حركة النصّ في البوح بمحتواه الدلالي. (وفي الْحَيَاة قبل الْمَمَات) ؛لأن العمل بعد الموت منقطع كما أشار إليه صلى الله عليه وعلى اله بقوله: (فوالذي نفسُ مُحمد بيده ما بعد الدنيا من مُستعتب) ،مستعتب: مصدر على زنة المفعول طلب الرضا، والمعنى: ليس بعد الدنيا من قبول عذر، وهنا أصبح واضحاً لنا أنّ الحديث الشريف شَمَلَ بدلالته إستغلال الحياة الدنيا في الطاعات، وإجتناب المحرمات قبل الموت ، وعندئذٍ يكون التضاد سببا في كشف الجانب الدلالي من خلال التباين في المعاني ، وهذا التباين ليس تناقضاً بل هو: نسج وزيادة في الإيضاح ،إذ أحدث تحوّل كبيراً في إنفتاح النصّ الذي وضّح إغتنام الفرصة في زمن الحياة للإستعتاب والإعتذار والتوبة والإستغفار والإستيقاظ عن الغفلة والاجتهاد للأعمال الصالحة، والإستعداد لما بعد الموت لئلا يقع بعدها بالحسرة والندامة ، وبذلك تكون المعاني المتضادة أسبق وجوداً في ذهن المتلقي من غيرها . كما أفرز التضاد وظيفة النصّ من خلال إحتوائهِ على البصماتِ الدلالية للزمن المحدد، وعندئذٍ يكون المتلقي قد إكتشف المخاطر التي سوف يتعرّض لها من لا يؤمن، ولا يغتنم فرصة الحياة، فَحثَ الحديث النبوي الشريف على: الإلتزام مع إستثمار الوقت لِلأعمال الخيرية التي هي: السُلّم الوحيد للنجاة من العذاب.

١٠- **الْجَنَّة > < النَّار: نوع التضاد:** أن اللفظين المذكورين دخلا في التَضاد الحاد؛ لأنه ليست هناك درجات المعنى بين اللفظين. الْجَنَّة: قال ابن فارس:(الْجَنَّةُ: مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ فِي الْآخِرَةِ، وَهُوَ ثَوَابٌ مَسْتُورٌ

عَنْهُمُ الْيَوْمَ. وَالْجَنَّةُ الْبُسْتَانُ، وَهُوَ ذَاكَ لِأَنَّ الشَّجَرَ بِوَرَقِهِ يَسْتُرُ. والْجَنَّةُ عِنْدَ الْعَرَبِ: النَّخْلُ الطِّوَالُ، وَيَحْتَجُّونَ بِقَوْلِ زُهَيْرٍ:

كَأَنَّ عَيْنَيَّ فِي غَرْبَيْ مُقَتَّلَةٍ ... مِنَ النَّوَاضِحِ تَسْقِي جَنَّةً سُحُقًا(٣٣)

النّارُ: تقال للهب الذي يبدو للحاسة، وللحرارة المجردة، وللحرارة المحرقة، ولنّارِ جَهنم المذكورة في قولهِ تعالى: {النّارُ وَعَدَهَا الله الّذِينَ كَفَرُوا}(٣٤)، جمعها: أنْوُرٌ ونيران، وأنيار(٣٥).

ورد التضاد الإسمي بين: (الْجَنَّة) وبين(النّار) وهذا التضاد في الأسماء: عزز الأثر الدلالي من خلال السبك الأسلوبي، والإستقرار المعنوي للأسماء المتضادة، إذ تمكن من خلق بنية خطابية لها أصولها الجمالية المملوءة بالمنافع والمتع مع التحذير الذي تولد من قوله صلوات الله عليهِ بالقسم الذي أقسم به" أن لا دار بعد هذه الدار إلا الجنة أو النّارُ "، فإنّ العذاب سوف يكون جاهزاً وثابتاً للذين لا يلتزمون بالنهج الإيماني. وبذلك صار المخاطب على بينة، أنّ الله عالماً بما كان يعمل، وعليه يظهر لنا أنّ التعارض الذي يخلقه التضاد هدفه: خلق بريق معنوي للمتضادين، حتّى يكون المتلقي على وعي تام من دلالتيهما، فهذه المقارنة بين الشيء وضدّه هي توضيح لهوية ومسارات كلّ من الأعمال الطيبة التي تسوق المرء الى الْجَنَّة والأعمال الخبيثة التي تقوده الى النّارُ من أجل أن ترتفع قدرة القارئ، أو السامع على تمييز التشعبات الدلالية التي أفرزها إنفتاح النص وتباين المعنى بين المتضادين،

هذه الألفاظ من التضاد بين الكلمات المتضادة التي جاءت بالحديث النبوي الشريف (الدُّنْيَا > < وَالْآخِرَة _ ومَضَى> < وبَقَى– والحَيَاة > < الْمَمَات – الْجَنَّة > < النَّار) خلقت لذّة عقلية مؤثرة عند المتلقي أثارت حاجته النفسية، وزادت تفاعله مع النص من خلال إستنطاقه، وعندئذٍ ترسخ المعنى في ذهن المخاطب وهي الغاية من الحديث، وعليه تحقق الهدف من الحديث النبوي الشريف، وأصبح مثمراً؛ لإنَّ البُنية النصية وظّفت نفسها في إضاءة الحزمة الدلالية، ذات القوة التأثيرية للمعاني المتضادة التي تمثل إتجاهات وسلوكيات متضادة أيضاً.

الخاتمة والنتائج

بعد أن اتممنا بحثنا بحمد الله ولطفه كانت غايتنا إظهار بعض الثنائيات المتضادة في أحاديث الأئمة في كتاب أصول الكافي نلخص اهم النتائج التي تمخضت عنها الدراسة فكانت كلاتي:

١– يتناول البحث عن مكونات النص وما فيه من شفرات ودلالات ومدلولات وعلامات تتيح لكل من القارئ والدارس إيجاد الثنائيات والتقابلات التي ينضوي عليها الحديث، و الكشف عن تلك الثنائيات التي تتصف بالتعمق وتمنح الباحث الاستجابة الواعية للنص واكتشاف نظامه الخاص، .

٢—بينت التجارب البشرية أن طبيعة الحياة الإنسانية في كثير من جوانبها مملوءة بالثنائيات المتضادة التي تؤثر تأثيراً فعالاً في نفس الإنسان، وطبيعة سلوكه، مما يجعل الإنسان عرضة لصراع نفسي داخلي وخارجي ، وبهذا شغلت الألفاظ المتضادة في احاديث الشريفة حيزاً واسعاً؛ حيث كان لحضورها تأثيراً واضحاً ومتميزاً فناً وإبداعا وفكراً في المجالات الحياتية والنفسية والفلسفية ..

٣-عبرت الألفاظ المتضادة في الاحاديث الشريفة دورا مهما في تقديم الرؤيا المتعددة والمتبادلة لتحقيق جدلية في علاقات الإنسان بوجهها الظاهري والباطني ، حيث مثلت بصور مختلفة : (غنيا – فقيراً) و (الدنيا – الأخرة) و(الحياة – الممات) و(الجنة – النار) فهذه الثنائيات هي ارتباط بين طرفين تجمع بينهما علاقة تضاد ويكون لهذه العلاقة الجامعة بين الطرفين اثر في توضيح المعنى وعمق الدلالة ، فتكون بمجملها بنية خاصة قادرة على الإشعاع داخل الحديث ، وتفسير المعاني المختلفة من خلال القدرة على أثارة ذهن القارئ لتنتقل من مستوى الى مستوى أخر في نفس الحديث، لجعل كل ما يبدوا مألوفاً في الحياة يخضع للإدراك والتفكير النوعي ،

٦- يُلحظ توظيف الألفاظ المتضادة في الأحاديث الشريفة للنبي الأكرم وعترته الطاهرة عليهم السلام؛ قد ساهمت في الانسجام اللغوي وإضافة جمالية وإبداع في الحديث،

وختاماً نسأل الله العلي القدير أن يتقبل منا هذا اليسير وهو المستعان وما توفيقي إلا به تعالى فهو السميع البصير

الهوامش

(١)- العين: (باب الضاد): ٦/٧.
(٢)- سورة مريم، الآية ٣٢.
(٣)- فقه اللغة العربية وخصائصها: ميل بديع يعقوب، ص. ١٨١.
(٤)- ينظر: قاموس الأضداد: راجي الأسمر، ص. ٣٣٢.
(٥)- مقدمة لدراسة علم اللغة: حلمى خليل، ص.٤١.
(٦)-ينظر: مقدمة لدراسة علم اللغة: حلمى خليل، ص. ١٧٧ -١٧٨.
(٧)-ينظر: فصول في فقه العربية: رمضان عبد التواب ص. ٣٤٢ -٣٤٣.
(٨)- التوبة: ٦٧
(٩)- ينظر: فقه اللغة، علي عبد الواحد: ٠٤٩.
(١٠)-ينظر: الكشاف: ٣٤٤.
(١١)- ينظر: الأضداد لابن الأنباري: ٢٥٣.
(١٢)- الكافي: (باب زكاة مال الملوك والمكاتيب): ح٩/ج٣/ص٦٦٢.
(١٣)-الكافي: (باب فضل فقراء المسلمين): ح١٠/ج٢/ص٤٦٠.
(١٤)-المصدر نفسه: (كتاب العقل والجهل) ح٣٢/ج١/ص١٩.
(١٥)- تاج اللغة وصحاح العربية، ص٢٨.
(١٦)- المرجع نفسه، ص ١٣٣.
(١٧)- الكافي: (باب آداب التجارة): ح٢/ج٥/ص٢٢٢.
(١٨)- تاج اللغة وصحاح العربية، ١٢٥.
(١٩)-المرجع نفسه، ص ٥٩٥.
(٢٠)- الكافي: (باب فضل اليقين): ح٥/ج٢/ص٣٦٢.
(٢١)- تاج اللغة وصحاح العربية، ٩١٤/٣..

[٢٢]- المرجع نفسه :٢٠١٧/٥.

[٢٣]- سورة طه: ٥٥. الكافي: (باب النوادر)، ح٤٩/ج٥/ص٨١٩.

[٢٤]- تاج اللغة وصحاح العربية: ٦٦٤/٢.

[٢٥]-ينظر: العين :٢٤٤/٨.

[٢٦]-ينظر: تاج اللغة: ٥٧٦/٢.

[٢٧]- تاج اللغة وصحاح العربية، ٢٤٩٣/١١٨٥٦.

[٢٨]- المصدر نفسه :٢٢٨٣/٦.

[٢٩]-المصدر نفسه، ٢٣٢٣/٦

[٣٠]- مجمع اللغة العربية المعاصرة:٢١٣٦/٣.

[٣١]- سورة الإسراء: ٧٥.

[٣٢]-ينظر: العين: ١٤٠/٨.

[٣٣]-مقاييس اللغة: ٤٢١/١.

[٣٤]- سورة الحج، الآية: ٧٢.

[٣٥]- القاموس المحيط، ص٦٢٨، ٦٣٠، والمعجم الوسيط، ٢/ ٢٩٢، ومفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني، ص٨٢٨. ومختار القاموس: الطاهر الزاوي ص٦٢٤.

المصادر

١- **أصول الكافي ويليه الروضة:** ثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٨ه)، الاعلمي للمطبوعات، بيروت -لبنان، ط:١٤٢٦،١ه-٢٠٠٥م.

٢-**الأضداد:** أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة الأنباري (ت:٣٢٨هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ط٤، عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧.

٣-**تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:** أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت: ٥٣٨ه) ، علق عليه : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ،ط:٢، ١٤٣٠ه-٢٠٠٩م.

٤-**الصَحَاح تَاجُ اللغَةِ وَصِحَاحُ العَربيَّةِ:** أبي نَصر إسَماعِيلَ بن حَمَّادِ الجُوهِري (ت: ٣٩٨ه) ، تحقيق: دكتور حمد محمد تَامِر ، دار الحديث- القاهرة ، (د.ط) ١٤٣٠ه- ٢٠٠٩م.

٥-**العين:** أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الاعلمي، بيروت-لبنان، ط:١، ١٤٠٨ه-١٩٨٨م.

٦-**فصول في فقه اللغة:** الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط:٦، ١٤٢٠ه-١٩٩٩م.

فقه اللغة العربية وخصائصها: ميل بديع يعقوب

٧-**فقه اللغة العربية وخصائصها:** د. إميل يعقوب، دار النشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

قاموس الأضداد: راجي الأسمر،

٨-**القاموس المحيط:** مَجْدُ الدِّين محمَّد بن يعْقوب الفيُروزَآبادي (ت: ٨١٧ه)، تحقيق: أنس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد، دار الحديث – القاهرة، (د.ط) ١٤٢٩ه- ٢٠٠٨م.

٩ـ مُعْجَم اللغة العَربية المُعاصرة: الدكتور: احمد مختار عمر ومساعدة فريق عمل، عالم الكتب، القاهرة، ط: ١، ١٤٢٩ه-٢٠٠٨م.

١٠-**مُخْتَارُ القاموس:** الطاهر أحمد الزّاوي، الدار العربية للكتاب، ليبا، (د.ط)، (د. ت).

١١ـ المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس– عبد الحليم منتصر– عطية الصوالحي– محمد خلف الله أحمد، مجمع اللغة العربية – مكتبة الشروق الدولية، بيروت، ط:٤، ٢٠٠٤م.

١٢ـ مفردات ألفاظ القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم - الدار الشامية، دمشق، ط:٤، ١٤٣٠ ه- ٢٠٠٩م.

١٣-مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

١٤مقدمة لدراسة علم اللغة: الدكتور: خليل حلمي دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط) ١٩٩٢م.